أفق الخطاب..... الخطاب أفق

أ:عبدالحق بلعابد – الجزائر –

عتبة منهجية :

الناظر للنقد العربي اليوم يجده قد حقق تراكبا يحتاج إلى طول تأمل، ووقفة تدبر لمرجعياته المعرفية، ومنابته العلمية، ومسالكه النقدية، وكيفية استعمال مصطلحاته وتداولها، وإزاء هذا التراكم البحثي، هل يمكننا أن نقيم هذه الجهود، ونقوم هذا العمود(النقدي)؟ ترجمة، وتنظيرا، وتطبيقا، وهل حققنا فعلا مؤسسة نقدية تعنى بتحليل الخطاب، واستنطاقه تفكيكا وتأولا؟، وفق معالم واضحة ومفاهيم مستوضحة.

ولأن الخطابات آخذة في التكثر والتكوثر(من الخطاب اليومي،إلى الخطاب الرقمي)، كان لزاما على النقد العربي من وضع استراتيجية في تحليل الخطاب على تنوعه، لأن الخطابات نحيا بها اسعمالا وتحيا بنا اشتغالا، فهاهو لسان الخطاب ينادي...اقرأني فإني هذا الخطاب، ليرخي له النقد أذنه مستمعا له فيه.

*** لسان الخطاب....أذن التحليل/النقد :**

ومن النقاد العرب القلائل الذين أرخو أذنهم لإنصات ما تقوله كينونة النقد لهذه الخطابات، الناقد والمترجم، والروائي المغربي "محمد برادة "، فعلى مرّ أربعة عقود لم يكف عن هزّ شجرة النقد العربي، باحثا عن كيانه وكينونته، وأفقه الهارب من داخل الخطابات النقدية الغربية.

متأملا في الخطاب النقدي العربي كأفق مأمول، باحثا في خصوصياته وخصائصه، تأسيسا، وتأصيلا، مخرجا المؤسسة النقدية العربية من احتفائها بلحظة الكاتب وقصدياته، معليا من شأن النص وقصدياته المتخفية وراء حجب القول الأسير، والحكي المكبوت، فهو يوازن في كتاباته النقدية بين إستراتيجية الإنتاج، وإستراتيجية التلقي.

فبدءا من كتابه المرجع في الدراسات النقدية الحديثة حول الناقد المصري "محمد مندور" وتنظير النقد العربي(1)، الذي وجد فيه الناقد المجدد المتمثل للطروحات النقدية الغربية، خاصة في نظرية الأدب، والنقد، فاستنطق جهوده النقدية بمنهج بنيوي تكويني، مستعيرا جهازه المفاهيمي والمصطلحي من أعلام هذا المنهج (جورج لوكاتش، ولوسيان غولدمان)، هدفه من ذلك التعريف بالمنهج البنيوي التكويني، وكذلك توجيه أنظار النقاد إلى ما يحدث خلف الضفاف الأخرى من مناهج جديدة التي استطاع محمد مندور ولو باجتزاء وابتسار تمثل بعض طروحاتها(2).

ليستمر بعد ذلك محمد برادة في مشروعه النقدي في التعريف بالمناهج النقدية الغربية،خاصة فيما ترجمه من عيون النقد البنيوي وهو كتاب "رولان بارث " (درجة الصفر للكتابة)(3)،الذي أراده منارة لفهم بعض مسالك الرواية وأساليبها وتحولاتها،وما يمكن أن نستفيد منه في الخطاب الروائي العربي.

ليعرج على أهم فتح نقدي هو ترجمته لكتاب "مخائيل باختين " (الخطاب الروائي)(4) الذي وجد فيه خير مرشد لفهم تطورات وتحولات الخطاب الروائي العربي تنظيرا وتطبيقا،وهذا لما طرحه باختين من مفاهيم مهمة خاصة مفهوم الحوارية،والرواية متعددة الأصوات،حيث وجد برادة أن الأسئلة التي طرحها باختين وهو ينظر للرواية،بإمكان الناقد العربي الاستفادة منها،وبأن يستعيد مسؤوليته في إنتاج المعرفة والإنصات لما تقوله الروايات بعيدا عن الاختزال والتصفيات المسبقة(5).

لهذا نجد محمد برادة على مدار السنوات يعمل على تحقيق المشروع النقدي العربي (المغيب) بتدبر وتمثل ومتابعة وتدرج،من خلال كتاباته وترجماته،وحتى رواياته(6) التي يطرح فيها هذا القلق النقدي في تخلق هذا الخطاب الروائي الهارب والمنفلت.

فسنعمل في هذا البحث على تتبع الكتابات النقدية لمحمد برادة وبخاصة تلك التي أسست لرؤيته النقدية للخطاب الروائي العربي :

أولا – فتوحات التحليل...انفتاح الخطاب :(في أسئلة الرواية،أسئلة النقد)

يرد هذا الكتاب في جزئين مهمين،وهو عبارة عن دراسات ومقالات كتبها "محمد برادة" على امتداد أكثر من عشر سنوات عن فتوحات النقد العربي وانفتاحه على المناهج النقدية الغربية تنظيرا وإنجازا،إذ خصص الجزء الأول منه لأسئلة الرواية وأسئلة النقد وما تطرحه على مستوى التنظير،ليأتي الجزء الثاني جزءا عمليا مطبقا على الخطاب الروائي العربي.

حيث قام محمد برادة في الجزء الأول بالتعريف بالمناهج النقدية الغربية التي طالما شاب تفاعلنا معها الابتسار والإختزال(7)،وعلى الرغم من ذلك استطاع النقد العربي استثمار ما تلقاه في توليد أسئلة نقدية تفارق أسئلة النقد التقليدي الذي ساد خطابه لفترات طولية.

لهذا قام محمد برادة بمتابعة هذه المناهج وتمثلها منذ خمسينيات القرن الماضي،مفجرا بذلك أسئلة ومستخلصا نتائجا من اشتغاله على تحليل الخطاب الراوئي،ناظرا إليه في هذا الكتاب من ثلاث زوايا :

أولا– علاقة الرواية بالنقد،

ثانيا– التعدد اللغوي،

ثالثا–عن آفاق تطور الرواية العربية.

1– أسئلة الرواية،أسئلة النقد...ذلك الحوار المستحيل :

إن حوارية الرواية والنقد يقتضي فهم إختلافيتهما،بين انطلاقات الرواية وفوضاها الجميلة،الماتحة من مسرات الحياة وعذاباتها ويوميها المألوف،ولغاتها المتناسلة،وبين التحليل/النقد الذي لا يتخلص من هاجس المقارنة والتنظير والاستخلاص والتنميط...(8).

فنجد أن الحوار بين الرواية والنقد بقي ملتبسا وصراعيا على امتداد قرن من ميلاد الرواية العربية،فلم يتمكن من صوغ حوار متلائم يكفل طرح أسئلة أكثر عمقا،أسئلة للثقافة وأخرى للمعرفة متكئة على منظور المعيش والمفكر فيه،ومن بين الأسباب الجوهرية التي يرجع إليها محمد برادة حوار الطرشانبين الروائيين والنقاد(9)،حيث نجد :

– التحول الذي عرفه مفهوم الأدب منذ العشرينيات من القرن الماضي بين الإتجاه السلفي الإصلاحي،الذي جعل من الأعمال الأدبية ذات وظيفة تربوية أخلاقية،لاتخرج عن هذه المسطرة النقدية،إلا أن هذا العمود النقدي استمر فيإنتاج خطابه المنغلق.

– ليظهر خطاب آخر في الخمسينات باسقاطاته الإديولوجية،مع إغفال خصوصية النص الروائي،وخصوصية خطابه للمجتمع،وهذا ما أظهرتهالرواية الواقعية الإشتراكية.

– كذلك إنهيار الكثير من اليقينيات والأجوبة الإديولوجية بعد نكسة 1967،وإنجلاء الأوهام على مستوى الساحة الثقافية العربية.

– ليأتي دور الإنبهار والتقهقر أمام الأسئلة الأساسية التي طرحت على الساحة العربية،وبخاصة سؤال الحداثة المتعلق بأولوية تفكيك البنيات الإجتماعية والسياسية والفكرية ذات الخلفيات اللاهوتية.

لتعرف الرواية بعد ذلك حراكا على مستوى المرجع،وعلى مستوى الأشكال الكتابية،وهذا راجع لتحول مفهوم الأدب بانجلاء الكثير من الأوهام،فهي فأصبحت تحمل في طياتها تمظهرات أخرى للواقع الذي يبدو عبر الخطاب السياسي،والإديولوجي،واحدا قابلا للفهم والإختزال في جملة مفهومات ومقولات.

2– التعدد اللغوي في الرواية العربية :(تفتيت تجانس النص،تحويل الشكل،وتوسيع المتخيل)

وهو من بين الإشكالات التي تطرح على الإبداع العربي،الذي يتمظهر في(10):

– تجلي الإبداع المغير لمفهوم الأدب وطريقة قراءته.

– جعل التعدد اللغوي مكون داخلي،ملتصق بالرحم المولد للنص في تحققه الشكلي والخطابي،والإديولوجي.

– نقص الوعي بمشكلة التعدد اللغوي ،لا يلغي نصوصا تحمل هذه السمة،التي تسعف على اكتشافها و مشروعيتها.

– الكثافة النسبية لاستعمال التعدد اللغوي في الرواية العربية لسبعينيات القرن الماضي،اقترنت بسعي نقدي لاستيعاب الظاهرة،مثلا في روايات (سلطانة لغالب هلسا،و المركب لغائب طعمة فرمان،و رحلة غاندي الصغير لإلياس خوري).

كما يمكن إختصار ظهور التعدد اللغوي وإحتفاء المبدعين به،في سببين مهمين :

– دور الخطاب النقدي في بلورة أهمية التعدد اللغوي و الحوارية،و تزظيف حوار اللغات في عصر معين،وكذلك بين عصر وآخر(مستفيدين من تحليلات باختين خصوصا).

– اهتمام الروائيين و النقاد بالجوانب التخييلية في التراث العربي الإسلامي،وفي الأدب الشعبي،والمحكيات الشفوية،بحثا عن تجديد للأشكال واستثمار بعض مكونات المتخيل الجماعي.

و هذا مما ساعد الروائيين على تشخيص التيمات،و استنطاق الشخصيات،و رسم الأزمنة،و الفضاءات، لنجد أن الإبداع العربي عموما في عقد من القرن الماضي،أصبح يتجه أكثر للإحتفاء بالتعددية اللغوية و الفنية،و إلى العودة إلى الكسف عن الذات،و بلورة صوتها و رغائبها.

3- الرواية العربية المعاصرة:(استشراف لآفاق التطور المستقبلي...)

قبل هذا لا بد من تحقيق **أولا** في:

• منجزات الرواية العربية ضمن نظريات الرواية الحديثة،التي ارتكزت على إتجاهات عديدة منها الجانب الفلسفي الجمالي،و الجانب التحليل لخصائصها الخطابية و تشكيلاتها البنيوية،وجانب الدراسات السيميائية،وغير خاف علينا الإسهامات التي قدمها باختين لتحليل الخطاب الروائي،التي يجعل منها محمد برادة عماد بحوثه.

وهذه التنظيرات من حيث هي مشاع كوني يمكن أن تنسحب على الخطاب الروائي العربي مع مراعاة الخوصية الفارقة بين الخطابين و السياقات المنتجة لهما،لهذا وجب التنبيه لهذه المرجعيات لنرى التفاعل الحاصل في حاضر وماضي الخطاب الروائي العربي،لهذا نلاحظ أن(11) :

• أن المحكيات التراثية العربية،تكتسي طابع المكونات للخطاب الروائي العربي في مراحل مختلفة من تاريخه (لا يمكن تجاهلها من قبل الروائي و الناقد).

• إن السياق العام لظهور الرواية العربية (في الرحلة والتطور) يبرز عناصر مهمة منها : تقليد النماذج الغربية،علاقة التبني بين القارئ و الرواية التي كانت تحكي واقعه،و تخاطب مجتمعه،كذلك تغليب المضمون الإجتماعي السياسي على نقد الرواية.

• إنجلاء الأوهام في فترت الستينات من القرن الماضي،و ظهور حساسيات تغاير الحساسية الرومانسية،و الواقعية و المثالية،و هذا للحراك الذي عرفه المجتمع العربي،و تبدل القيم و كثرة الإنكسارات لزيف الشعارات خاصة،إلى جانب موجت الإستقلالات التي عرفها الوطن العربي.

فإذا أردنا أن نتلمس هذه **تحولات الخطاب الروائي العربي** في هذه الفترة،سنجد ثلاث تحولات مهمة(12):

– تحولا دلاليا : و يظهر في بروز موضوعات جديدة يتداخل فيها الذاتي بالموضوعي،إجابة عن أسئلة الواقع.

– تحولا شكليا : تعدد الأشكال الكتابية و التعبيرية،من تقنيات سردية (زمان،مكان،شخصية)،إلى جانب الوصف،و الحوار،و بعض منظورات الحكي (التبئير).

– تحول نقد الرواية الجديدة : وهذا بظهور اتجاهات نقدية جديدة،مثل البنيوية،و السيميائيات،و حليل الخطاب،التي بدأت تعرف طريقها للتمثل والتطبيق بعد ذلك.

والتحقيق

ثانيا،محددات هذا التطور المستقبلي(13) :

الذي لابد عليه من ربط الرواية عامة و والرواية العربية على وجه الخصوص بمستقبل مجتمعها في كليته،وهي ترزح تحت وطأة التبعية.

لهذا و جب على الرواية و هي تنظر للمستقبل من أن تضطلع بدور مزدوج،و هو انتقاد القديم و السائد،و ابتداع الأشكال والصيغ،و الأسئلة التي تحفز المخيلة والإرادة لتشييد الجديد،فقد رأينا الأدب الطلائعي آنذاك تخطى إطار الدعوة الإديولوجية،ووظيفة الدعاية والتبرير،ليحاور الإديولوجيات،ويضعها على محك السؤال،و تقاطع المعيش و المستجد،واستغلال العلامات والرموز و اللغات التي ينتجها المجتمع الجديد المتمثلة في فضاء الصراع،و تعدد الرؤى،وتفاعلها مع المتخيل الشعبي و الحضاري في آن.

ولأن الرواية من الأنواع الأدبية المستقطبة و المستوعبة لكل للكثير من الأشكال التعبيرية الأخرى،لتصبح بهذا أداة لإنتاج المعرفة،و نقد التصورات

القبلية،سيبقى مستقبلها غامض غير واضح، لعدم استقرارها فهي بقدر ما تقترب منا فهي تبتعد عنا في آن،لهذا اشترطت محدداتها(14):

– بالشروط السياسية و الإجتماعية و الثقافية،التي ترهن انفتاحها و تعدد رؤاها،و حوارها مع الآخر، وتكريسها للدموقراطية الكاشفة عن أصوات مغيبة لنسمعها للآخر و الجمهور الواسع.

– كما لا بد من النظر للإمكانات النظرية والإنجازات المحتملة لتحقيق الرواية العربية التي سنجملها في :

* ما أكدته النماذج الناضجة من الرواية العربية،لإمكانية قيام رواية عربية مغايرة للشروط التي ظهرت فيها في المجتمعات البورجوازية،وهذا بفهم الروائيين لطبيعة تشكيلاتهم المجتمعية المفارقة.

* التواتر الذي عرفته كتابة الرواية لدى بعض الروائيين،مما سمح لهم من أن يجسوا مجتمعاتهم ويعرفوا خباياها،وخير مثال نجده في روايات نجيب محفوظ.

* التغيرات والتحولات التي عرفها مفهوم الأدب،وتحريره من الإديولوجي،و السياسي،و ارتياده مناطق الذاتي ليتميز عن باقي الخطابات،وهذا ما كشفه النقد الجديد الذي واكبه،والذي اعتبر الرواية أداة لإنتاج المعرفة والفكر.

وتأسيسا على ما سبق خلص محمد برادة إلى **آفاق استشراف تطور الرواية العربية**،وهذا بعيد عن وضع المعايير و المقاييس أو نصوص نموذجية،انطلاقا من الخطاب الروائي السبعيني إلى الآن(15)، ارتكزت على محورين :

1– مادة بناء الخطاب الروائي :

وهذا بارتياد الرواية العربية مجالات الواقع والتاريخ الذي سيوسع من آفاقها ويعمقه،بعيدا عن الفهم التبسيطي لعلاقة الرواية بالواقع والتاريخ.

2– التشكيل الفني للخطاب الروائي :

إن تخصيص المضمون وابراز مميزاته هي عملية مرتبطة بوعي دور التشكيل وتحقيق التوازن بينهما من طرف المبدع/الروائي،فطرائق الحكي و السرد هي جزء مكين من تخلق الرواية،مستمدا إياها إما من :

– التراث العربي،أو التراث الروائي العالمي.

– السردية،وهي استلهام بعض الطرائق السردية التي اعتمد عليها الإخباريون القدامى،وكتاب الرحلة، وتاريخ السير،قصد تشكيل العالم الروائي.

– الحوارية (المستمد من الفكر الباختيني)،التي تظهر تعدد الوعي داخل الرواية مخرجة الروائي من أحادية اللغة إلى أفقها الحواري المتعدد.

– تعدد الأصوات واللغات،وهذا لإبراز اختلاف وجهات النظر،وتعارض الشخصيات،باختلاف لغاتهم،مما يسمع للخطاب الروائي العربي من أن يكون أفقا متعددا.

ثالثا – فضاءات الرواية...إضاءات التأويل :

حيث سنستنطق في هذه النقطة كتاب محمد برادة (فضاءات روائية)(16)،الذي طور فيه مداخله النظرية،وعمق فيه مسالكه التحليلية للخطاب الروائي العربي،وهذا بعد إنجلاء الكثير من الأوهام الكتابية،والنقدي،أمام كل من اروائيين والنقاد على حد سواء،فمحمد برادة في كتابه يراجع المسألة الدقيقة بإخراجها من المحلي إلى العالمي.

1– الأدب وبويطيقا المجهول :

في هذا العنصر يعمق محمد برادة من فهمه للأدب ونشدانه لمستقبله،الذي هو دائما في خلق متجدد لمفاهيمه،لما يتسم به من قدرة على الإنفلات والزوغان من قبضة النظرية و التنظيرات (البلاغية، و السيميائية،و تحليل الخطاب...)،فهو أفق لايكف عن الترحال والمغامرة،و الإستكشاف،ليبدد الغموض ويمحو الإلتباس(17).

لهذا يرى برادة من أن الأدب لا يفهم إلا من خلال حراك مفهوم البويطيقا عامة،وما اسماه **ببويطيقا المجهول** التي يرتادها الأدب من خلال صانعه (المبدع)،الذي يغامر في مسالكه الكتابية ومهالكه الإبداعية نساجا علاقة ملتبسة مع اللغة التي يراها لا تستوعب لحظاته المشرقة لقول كينونته المنسية،من خلال نصه،الذي سينشغل عنه بعد الخروج عنه،ليرتاد حيوات أخرى مع قراء آخرين في الهنا (لغته)،والهناك (الترجمة/لغة الآخر)،عبر مسارب التخييل التي لا تكف عن منادات المجهول لتتخلص البويطيقا من همومها ومقاييسها المعيارية(18).

ليتحول سؤال الأدب من ذلك السؤال التاريخي (السارتيري) لماذا الأدب ؟،إلى سؤال إجرائي بويطيقي كيف هو الأدب ؟ وهو يرتاد بويطيقا المجهول المنفتحة على ماهو بصدد التشكل في رحم الإبداع العربي،والإنساني عامة،لتنجلي أوهام الكاتب العربي،بأرضنة خطابه الروائي داخل هواجس الذات،وتلبسات الواقع والمعيش.

فنرى هنا بأن برادة يعمق في الطروحات النقدية النظرية،التي قد كان سجلها في كتابه أسئلة الرواية أسئلة النقد،وبخاصة التحولات التي عرفها مفهوم الأدب،والحوار المجود بين الرواية و النقد.

2- الرواية أفق للشكل،والخطاب المتعددين :

يرجع بنا محمد برادة في هذا المبحث للخطاب الروائي،كأفق مفتوح على جميع الأجناس الأدبية،,الأشكال الكتابية والتعبيرية،ببحثه في مسألتين مهمتين طرحتا منذ أسطو إلى الآن :

* مسألة المسار التاريخي لجنس الرواية وتفريعاتها الممتدة (على الأقل من القرن ألأول الميلادي إلى الآن):

حيث يرى بأن مسار الرواية التاريخي،كان دوما مطبوعا بالتحولات،و التفاعلات،والتقاطعات،ليختار لفهم هذا المسار التاريخي للرواية،ما اقترحه "ميخائيل باختين" كنمذجة تاريخية للرواية من خلال كتابه " جمالية الإبداع اللفظي"(19)،والذي حددها في أربعة مغايرات (رواية السفر،رواية الرحلة،رواية البيوغرافيا،رواية التعلم)،معتمدا على المبادئ البنيوية لصورة البطل الأساسي،وعلاقته بالزمن.

فنجد محمد برادة دائم الرجوع إلى الطروحات الندقية لباختين التي يراها تسعف التسعف الناقد العربي على فهمه لتاريخ الخطاب الروائي الإنساني عامة،وتاريخ الخطاب الروائي العربي خصوصا.

* مسألة خصائص الخطاب في الرواية :

لا يعتمد محمد برادة في تفهيمه للخطاب داخل الرواية على التصورات اللسانية الفارقة بين الشكل والمضمون،وإنما يبنيها على التصور الباختيني الذي لا يعرف تمييزا بين شكل الخطاب ومضمونه،لأن الخطا بظاهرة إجتماعية بامتياز(20).

لهذا لا يمكننا أن نبحث عن خصائص للخطاب الروائي لما علمناه من تداخله وتشربه لأجناس أدبية وغير أدبية أخرى،فهو دائما على تماس معها،كون الخطاب الروائي لا تظهر خصائصه إلا في حالة اشتغال.

فالمشتغلون على شعرية الخطاب الروائي يحددون خصائصه من خلال مكوناته الأساسية التي هي في الغالب **المكون السردي،والمكون الوصفي**،وينضاف إليهم ما بلوره باختين أيضا في دراساته للخطاب الروائي وهو **المكون**

الحواري،ومفاهيم الكرونوتوب،التشخيص الأدبي للغة،ليمكنا بعد ذلك الكشـــف عـــن خصائص الخطاب داخل الرواية.

* الرواية وتحول مفهوم الأدب :

ليجعل برادة من الرواية كمحول أساسي لمفهوم الأدب،وهذا لما تكتسبه من تعددية في الرؤى،و التجريب الكتابي،داخل هذا العالم المحموم بالفوضى و التشظي و الانفلات و الرقمنة،التي تحكى لنا كل يوم عبر المسلسلات،و أشرطة الفيديو،و الإنترنيت،غير أن الرواية استطاعت استيعاب هذه الأجناس لطاقتها الحوارية،لأننا فعلا في زمن الرواية الذي سيبقى رغم كل هذه الإجتياحات للثقافة الرقمية،لهذا يقول برادة عن " زمن " هذه الرواية،كنت وما أزال أحكي: رواية الأصوات و اللغات و الرؤى المتعددة المتجابهة،رواية ترفض الثبات و الجمود كما ترفض أن تتحول إلى مسكن للقلق أو إلى محكمة أخلاقية تصدر الأحكام،و تطرز التفاؤل السهل " زمن " هذه الرواية قائم على رغم هشاشته لكنه **أفق**(21) محتمل ما من سلطة تقوى على إعدامه.

3- تعدد التيمات والأشكال وتأصيل الرؤية في الرواية :

وهذا ما يستقبله الخطاب الروائي العربي الذي تعددت تيماته وأشكاله الكتابية،ومن أهم موضوعاته المهيمنة نجد(22):

- الهوية في مواجهة الماضي والآخر.
- المدينة وفضاءاتها.
- القمع واحتقار الذات.
- تجارب الحب والجنس.
- التاريخ في الرواية.

ليسترجع برادة تلك العلاقة الملتبسة والإشكالية بين المبدع واللغة،التي ما انفكت تسكنه ويسكنها، ليتساكنا بعد أن يتهادنا في بيت الكتابة/الرواية الكبير،مرخية سمعها للذاتي والموضوعي،للواقع والمعيش في صراعاتهم و تناقضاتهم،من خلال أصوات متعددة،و لغات متباينة،ومواقف متناقضة، ليختلط الدارج بالفصيح،والواقعي بالمتخيل،والمحكي بالمعيش،متوسلة في كل ذلك بأشكال كتابية متأصلة ومستعارة،إما من المحكيات الكلاسيكية الموروثة من ألف ليلة وليلة،و إما من المحكيات العالمية،و هذا لأن الرواية كتاب مفتوح على نثريات العالم.

وعليه فالخطاب الروائي العربي على الرغم من الشروط الصعبة الحافة بالأدب،مستمرة في توسيع دائرة تأثيرها على المتلقين،كونها أداة معرفة ومتعة و بوابة لتجديد المتخيل،ومتنفسا لصراع الذات مع المؤسسات والسلطة،ومكبوتات الماضي.

4- الخطاب الروائي العربي في مائة سنة وما عرفه من تحولات :

يحاول محمد برادة في هذه المبحث استنطاق المنجز الروائي العربي منذ البدء والتاريخ،إلى الإمتدادات التي عرفها،فهو في استقرائه لهذه السيرورة والصيرورة يرسم معالم ومحطات أساسية لتاريخ الخطاب الروائي العربي على مستوى المواضيع والأشكال،إلا أن هذه المحطات يراها قابلة للإزاحة والإنزياح، وهذا للحراك الذي يعرفه مفهوم الأدب عامة،والرواية تحديدا،ليوجز هذه المحطات الأساسية في خمس محطات هي(23):

1- السيرة الذاتية: بحثا عن الأنا العميقة.

2- المدينة : فضاء الحرية،و الوحشة،و الصراع،و الحرب.

3- زمن الرماد،و نفض الذاكرة.

4- استعادة التاريخ.

5- مرايا الذات والغيرية و صورة الآخر.

وعلى هذا فالخطاب الروائي العربي غاد نحو مستقبله،باجتراحه لآفاق ظلت طيلة عقود عتمات لا يمكن ولوجها،فهو غير بعيد اليوم من الأسئلة التي تطرح الخطاب الروائي العالمي،حول كيفية الاستمرار و التأثير في ظل التحولات الإلكترونية لوسائل الثقافة واشتداد المنافسة بين القراءة والمشاهدة والاستماع ؟،غير أن جواب المسألة يمكن في أفق الخطاب الروائي(العربي) المفتوح المستقطب لكل هذه الفتوحات (التكنولوجية) الممكنة.

وكعادة محمد برادة في كتاباته النقدية،فهو لا يرتكن للتنظير دون أن يشفعه باشتغال على خطابات روائية يبرز من خلالها ما ذهب إليه من تنظيرات، وهذا ما فعله في الجزء الثاني من كتابه فتوحات روائية،قصد الكشف عن المنجزات السردية للخطاب الروائي العربي على مستوى الأشكال والمضامين معا.

خاتمة منهجية :

بعد طول تأمل في العطاءات النقدية التي قدمها محمد برادة للمؤسسة النقدية العربية،نجد بحق الباحث الحارث،ولعلمه وارث،فقد استطاع على مر أكثر من أربعة عقود أن يساهم في التعريف بالمناهج الغربية (بنيوية،سيميائية،تحليل الخطاب، معرفية....) تنظيرا وإنجاز،ليساهم على مدّ جسور التحاول والتفاعل بين الأدبين والنقدين،والحضارتين،فهو فرع باسق في شجرة النقد و الأدب العربي،وما يزال لليوم يقدم لها من خلال كتاباته المنتضمة وندواته الدولية،وأعماله الروائية التي بثها همومه النقدية،لأن النقد يحتاج إلى طاقة التخييل ليعيش متحاورا مع الأدب.

هوامش البحث :

1- محمد برادة،محمد مندور،وتنظير النقد العربي،دار الآداب،ط1،سنة 1979،بيروت لبنان.

2- المرجع نفسه،ص9-29.

3- رولان بارث، درجة الصفر للكتابة،ترجمة: محمدبرادة،الشركة المغربية للناشرين المتحدين،سنة 1981،الرباط،المغرب.

4- ميخائيل باختين،الخطاب الروائي،ترجمة: محمد برادة،دار الأمان،سنة 1987،المغرب.

5- المرجع نفسه (من مقدمة المترجم)،ص 4-19.

6- نجد هذا الهاجس النقدي يتسرب في مسامات التخييل في روايات محمد برادة،متجسدا في الخطاب الميتاسردي(الخطاب السردي الواصف)،في رواياته منها لعبة النسيان،التي يتكلم فيها عن تخلقات الرواية،والصراع الواقع بين راوي الرواة وشخصياته من جهة،والمؤلف من جهة أخرى،ويتجسد جليا أيضا في روايته مثل صيف لن يتكرر،لما يعمد إلى تحليل ونقدر رواية أفراح القبة لنجيب محفوظ وإبراز تقنياتها السردية الجديدة،وخاصة وجهة نظر السارد،ص151-158.

7- محمد برادة،أسئلة الرواية،أسئلة النقد،منشورات الرابطة،ط1،سنة 1996،الدار البيضاء،ص05.

8- المرجع نفسه،ص9-10.

9- المرجع نفسه،26-27.

10- المرجع نفسه،ص30-53.

11- المرجع نفسه،ص57-66.

12- المرجع نفسه،ص65-68.

13- المرجع نفسه،ص67-68.

14- المرجع نفسه،ص69-73.

15- المرجع نفسه،ص74-81.

16- محمد برادة،فضاءات روائية،منشورات وزارة الثقافة،ط1،سنة 2003،الرباط،المملكة المغربية.

17- المرجع نفسه،ص6-15.

18- المرجع نفسه،ص12.

19- Mikhaail Bakhtine,Esthétique de la creation verbale,ed.Gallimard,paris, (trad,fran),1984,p.212.

20- محمد برادة،فضاءات روائية،ص 19-35.
21- المرجع نفسه،ص36-50.
22- المرجع نفسه،ص57-72.
23- المرجع نفسه،ص72-100.